النشاط الزراعي لفلاح بير زيت على مدار السنة

يعتمد الفلاح اعتمادا شديدا على الاحوال المناخية . اذ هي تارة ترحمه وتارة تقسوعليه . فالمطر قد يهطل بكميات وفيرة او قليلة ، قد يهطل في حينه او متأخرا . وفترة الجفاف قد تطول او تقصر .

تحت معظم هذه الظروف يكون موقف الفلاح الانتظار .وهذا العامل يسبب في كثير من الاحيان اضطراب الانتظام في حياة الفلاح . لكن ، وبالرغم من ذلك ، فان انتظاما معينا وقواعد راسخة تسير الزراعة على هداها . فالسنة عند الفلاح مقسمة الى ستة مواسم زراعية تقريباً وهـــــي : —

١ — تشرين الثاني : موسم الحرث وزراعة الحبوب .

٢ — كوانين : موسم الامطار.

٣ — آذار ونيسان وأيار : موسم حرث الارض الشجرية وزراعة الخضروات والتنقيب وحصاد القطاني .

٤ — حزيران وتموز : موسم حصاد القمح والشعير وتغطية العنب .

٥ — آب وايلول : موسم قطف العنب والتين.

٦ — تشارين : موسم الزيتون .

وسنتناول فيما يلي الميزة والنشاط لكل موسم على حدة .

أولا : موسم الحرث وزراعة الحبوب

فالقاعدة العامة انه لا يستطيع الفلاح المباشرة في الحرث والزراعة الا بعـد ارتواء التربة بالماء . . اذ ان العفير ، اي البدء في الزراعة قبل ارتواء التربة ، لا يصلح في بيرزيت . ويكفي لارتواء التربة ان تهطل الامطار ٢٤ ساعة متواصلة ، اي طيلة الليل وطيلة النهار . وللتحقق من ذلك يجب ان لا تصل السكة (١) الى التربة الجافة ، او يستعاض عن ذلك بالتأكد من ان طبقة الارض المشبعة بالماء تبلغ شبر من الطول . وما ان يطل «عيد لد »(١) من ١٦ تشرين الثاني حتى يكون قد تـــم ارتواء الارض . ومن هنا القول : عيد لد قد (٣) وجد(٤) . وفي السابق كان يبدأ الفلاح عملية الحرث وقطف الزيتون بعد هذا العيد . ولكن عندما تقسو الأحوال المناخية يتأخر ارتواء التربة الى ما بعد هذا التاريخ ، وسيكون موسما زراعيا سيئا ، ان لم تسقط الامطار الكافية قبل عيد بربارة (٤) — ١٧ كانون أول . عندها سيتراكم العمل على الفلاح وسيضطر للحرث والزرع متأخراً.

على أية حال ، ان ارتوت الارض في حينه ، ينتظر الفلاح من ٣ — ٨ أيام قبل الفلحة (٥) . أي حين يتحول الوحل الى تربة رطبة يسهل حرثها . واحيانا لا يحتاج ذلك الى اكثر من ثلاثة ايام عندما تكون الارض عطشى (وتسمى : الارض كبيرة) قبل هطول المطر . اما الفلحة فتتم على النحو التالي : تقسم الارض الى اجزاء (كل جزء يسمى قطوعة) وذلك بان يحرث الفلاح تلمين (٦) متباعدين على مسافة ٦—٨ متر .ثم ترش البذور في قطوعة واحدة فقط . وبعد ذلك يتم حرثها . وبذلك يعرف الفلاح اي جزء من الارض قد بذر ، فلن يغادر الحقل قبل حرث القطوعة والامكثت البذور على سطح الارض والتقطها الطيور . أما ما يزرع في هذا الوقت فهو القطاني (العدس ، البيكة ، والكرسنة) والقمح والشعير وكذلك البصل والثوم الخ. والفلحة قد تستمر في كانون أول وكانون الثاني والنصف الأول من شباط .

ثانيا : موسم الامطار :

ينقطع الفلاح عن العمل في الايام الماطرة ولكنه قد يفلح الارض في الايام الاخرى ويستعد للموسم القادم وكذلك في هذه الفترة تتم زراعة الاشجار كالزيتون والعنب والتين .

ثالثا : موسم حرث الارض الشجرية الخ .

اما حراثة الارض المشجرة بالبرقوق والزيتون والعنب والتين واللوز والجوز فيمكن ان تتم في اشهر آذار ونيسان ولكن لا يمكن ان

(١) آلة الحرث ويجرها الحيوان

(١) مناسبة نقل رفات الخضر الى اللد .
والتواريخ في المقال معطاة حسب التقويم الغربي .
(٢) قدت السكة الارض اي شقتها . (٣) ضرب اشجار الزيتون بالعصي لإسقاط الثمر.
(٤) قديسة . (٥) حرث الارض بعد رشها بالبذور ،وتسمى أيضا بذار أو تشليف .
(٦) الشق في الارض الذي تصنعه السكة .

تستمر الى ما بعد عيد الخضر (١) — ٦ أيار، لان شق الارض سيعرضها للجفاف نتيجة التبخر الزائد الناتج عن ارتفاع درجة الحرارة في هذا الوقت من السنة. ومن الجدير بالذكر انه في هذه الأشهر وعلى تباعد زمني يقرب من الشهر تحرث الارض مرتين : الاولى في أوائل آذار وتسمى كراب (٢) والثانية في اوائل نيسان وتسمى ثناية . واحيانا — وهذا هو المستحسن — ، تحرث الارض للمرة الثالثة في اوائل ايار (تثليث). في نفس الفترة الزمنية المذكورة وفي آذار بالذات تتم عملية تقنيب الاشجار كالعنب والتين والبرقوق واللوز. وفي الفترة الزمنية الواقعة في النصف الثاني من آذار وكل نيسان واوائل ايار تصرفها الفلاحة في الحش (٣) وذلك من مطلع الشمس وحتى الساعة العاشرة صباحا تقريباً . ففي هذه الفترة يكون الحشيش قد ازهر وتصلب مما يزيد في فائدته الغذائية وخصه صا بالنسبة لحيوانات الجر ، ولن يسبب اضطرابا هضميا كما يحصل غالبا عند تناول الحيوان للحشيش الاخضر . وما أن يصل الزمن بالفلاح الى النصف الثاني من أيار حتى يحين حصاد القطاني . ويجب ان يتم ذلك قبل تمام اصفرار العظمة (الساق) أو نضوج الجرس (الثمر) لئلا يسقط الحب على الارض و يذهب سدى.

رابعا : موسم حصاد القمح والشعير وتغطية العنب .

ففي حزيران يكون حصاد الشعير والقمح بعد تمام اصفرار النبتة والا كانت حبة القمح مثلا غير مكتملة وقابلة للالتواء فتسقط من ثقوب الغربال فيصعب تنقيتها. والحصادون يختارون عادة الايام الندية وذلك لتجنب الآلام الناتجة عن وخز الاشواك النامية بين القمح والشعير. وتتوقف على الكمية المحصودة ان يباشر الفلاح فورا في درس (٤) المحصول أم تركه على البيادر (٥) ريثما ينتهي من غطاء العنب . وهذا الاخير يبدأ في ٧ تموز ويهدف الى حماية العنب من الندى ورذاذ المطر وكليهما يسببان تشقق العنب وبالتالي تعفنه السريع. وكذلك حمايته من الحشرات والطيور . والغطاء عبارة عن طبقة من اغصان واوراق العنب فوقها طبقة من التبن ثم حجارة صغيرة . أما قطف وبيع البرقوق والتفاح والاجاص والخضار فيبدأ بعد الغطاء . وقبيل

(١) مولد الخضر . (٢) كرب كرايا الارض اى قلبها للحراثة. (٣) جمع الحشيش .
(٤) الحصول على القمح او الشعير بعد فصل التبن عنه . ويتم ذلك على البيادر حيث يجر الحصان او البغل لوحاً ثقيلا فوق القمح اليابس . ثم يلقي الناتج في الهواء فيتطاير التبن الخفيف بعيدا ويسقط القمح مكانه . (٥) مساحة صخرية سهلة السطح .

ذلك وقليلا بعده يكون موسم جني المشمش والتوت . اما بالنسبة للوز والجوز فيفضل ان يجنيا قرابة عيد الصليب (١) — ٢٧— ٩ حيث يكون الثمر قد اكتمل ويصلح خزنه لسنين. ولكن تحسبا من السرقة ، يجنى عادة اللوز والجوز سويا مع البرقوق والتفاح، اى مباشرة بعد غطاء العنب مع ما يجلبه ذلك من خسارة في نوعية الثمر . ولا بد من الذكر عن صنع السلال من اغصان الزيتون اليانعة واغصان العليق يتم في اوائل هذه الفترة ايضاً نظرا لنمو تلك الاغصان في اثنائها .

خامسا : موسم قطف العنب والتين

ابتداء من عيد العذراء (٢) ٢٨ آب يستطيع الفلاح البدء في قطف العنب (في آب اقطع القطف ما تهاب) . وقسم من الثمر يباع والقسم الآخر يصنع الى نبيذ او خل او زبيب او مربي اوملبن . وما ان يقترب عيد الصليب حتى يكون جني العنب قد انتهى وذلك خوفا من تساقط الامطار التي تسبب في تعفن الثمر . وينضج التين في نفس الفترة الزمنية كالعنب تقريباً .وقد يباع جزء من الثمر، ولكن اكثره يتحول الى قطين . فبعد جمع القطين المتساقط يوضع على مساحة من الارض بعد ازالة الحجارة عنها (المسطاح) ويترك هناك حتى تستوفي عملية التجفيف حيث ينقل الى البيوت ويحفظ بعد رصه في الخابية او الصحارة . ويستمر موسم التين الى منتصف تشرين أول . وجرت العادة ان يعزب (٣) الفلاح في كروم التين او العنب طيلة مدة الأثمار وذلك للحماية . ويصنع لذلك اما العريشة (٤) او القصر (٥) .

سادسا : موسم الزيتون

أما الخريف فهو موسم الزيتون وهذه الشجرة متوفرة بكثرة في اودية وتلال بير زيت . ولعل القارئ استطاع ان يقرن بين هذه الحقيقة وبين اسم المدينة . فكانت كميات زيت الزيتون الضخمة التي ينتجها الفلاح سنويا تحفظ في آبار محفورة في الصخر (كانت تحفظ في آبار الزيت) . وعلى عكس العنب والتين فان ثمرة الزيتون لا تتضرر بتاتا من سقوط الامطار .بل على العكس انها تكسب في نموها . لذلك وعلى الرغم من ان قطف الزيتون يمكن ان يبدأ من منتصف تشرين اول، الا اننا كثيرا ما نجد الفلاح يؤجل ذلك الى شهر تشرين الثاني .على ان الموسم يبدأ قبل ذلك بكثير . فمنذ منتصف ايلول يباشر

(١) يعتقد انه في هذا اليوم عثر على الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح .
(٢) عيد رقاد او وفاة العذراء . (٣) العيش في الكروم .
(٤) بيت من الاغصان والاوراق يقام على الارض يهدم ويصنع كل سنة بديلا عنه.
(٥) بيت من الحجارة ويبقى ما صلح تقام العريشة عليه كل سنة .

الفلاح في الجول (١) . في ايلون (٢) بيدور الزيت في الزيتون والمي في الليمون) . وبعد جد الزيتون يستطيع الفلاح الانتظار فترة اسبوعين قبل دراس (٣) وعصر الزيتون على ان يفرد الثمر في مكان حسن التهوية . وكلما صغرت فترة الانتظار هذه ازداد الزيت جودة نظرا للحد من نسبة الحموضة فيه. ومن الزيت قد تصنع الفلاحة الصابون . وعداعن الزيت فالفلاح ايضاً يصنع الزيتون الى رصيص (زيتون اخضر) ومملوح (زيتون اسمر) . ومن الجدير بالذكر ان تقنيب شجر الزيتون يتم عادة اثناء قطف ثمره .

نشاطات غير موسمية

هناك نشاطات تتعلق بالزراعة ولا ترتبط بالضرورة بموسم معين . فبناء السناسل (٤) لتقي التربة من الانجراف. وتحضير وا صلاح الادوات الزراعية من فؤوس ومقصات واجزاء السكة وغزل الصوف ونسجه يتممها الفلاح في وقت فراغه . اما نسج الصنية والتدح والجونه وغيرها من الاوعية الضرورية للزراعة والمصنوعة من القش فيمكن ان يتم في اي وقت بعد موسم الحصاد حين يجمع القش اللازم . الا ان الفلاحة التي تقوم بعملية النسج تفعل ذلك غالبا اثناء التعزيب في كروم التين والعنب نظرا لمتسع الوقت .

الزراعة الحيوانية

معظم الذين يمتلكون قطيعا من الخراف يملكون ايضاً ارضاً. لذلك كانوا يوكلون رعاية القطيع لراع يعمل لديهم طيلة العام. او يقومون هم بأنفسهم بالمهمة ان صغر القطيع . ومدة الحمل عند الخراف خمسة اشهر . وعندما تلد الخراف في كانون الثاني او شباط او حزيران فان الأحمال المولودة تسمى بدري او ربيعي اوصيفي على التوالي. لذلك ، تعطي النعاج حليبها ابتداء من شباط وآذار . ومنذ هذه الفترة تنهمك الفلاحة في حلب النعاج وتحضير اللبن والزبدة والجبن. ومرة واحدة من كل عام وفي أيار بالذات وبعد استحمام الخراف في نبع الماء ، يجز الفلاح صوفها وينزله وينسج على النول الزنارية (٥) والبشت (٦) والفجة (٧) أما الطاقية فينسجها بالسنارة .

(١) جمع ما تساقط من ثمر الزيتون الناضج كبيرين من الحجارة يجرها الحيوان او الآلة .
(٢) شهر ايلول . (٣) تحطيم الثمر بعجلين
(٤) جدران (٥) لباس طويل حتى الكاحل وصوفه ابيض واخضر واسود .
(٦) لباس طوله حتى الركبتين وصوفه ابيض
(٧) لباس يغطي منطقة الصدر فقط وصوفه ابيض .

فلاح من بيرزيت – ١٩١٠

هل يستريح الفلاح ؟

مما تقدم نستطيع الاستنتاج ان الفلاح دائم الحركة والنشاط طيلة العام .الا ان هناك فترات من العمل المركز المضغوط وفترات من العمل السهل . ولعل شهر آب هو اكثر الفترات راحة للفلاح . اذ يكون قد انتهى من تغطية العنب ومن الحصاد ودراس الحبوب . زد على ذلك ان الفلاح يرتاح في الايام الماطرة التي تقع عادة في شهري كانون اول وكانون الثاني .ويرتاح ايضاً في المناسبات الشخصية كالزواج والجنازات والاستضافة

اما الفلاح المسيحي (١) فيستنكف عن العمل في عيدي ميلاد السيد المسيح والفصح .والفلاح المسلم يفعل ذلك في عيدي الاضحى والفطر .

معرفة المواسم :

للفلاح معرفة جيدة في الخصائص المناخية لكل شهر بل لكل اسبوع في السنة لما للمناخ من تأثير مباشر على الزراعة . فهو يعتقد ان افضل وقت للفلحة هو الفترة الواقعة ما بين عيد الغطاس (٢) الغربي (٣) وعيد الغطاس الشرقي. اي ما بين ٦ — ٢٣ كانون الثاني. وقد تصل به الدقة في التحديد لان يقول ان المطر يضر بالزرع وبالشجر ان سقط في النصف الثاني من يوم عيد الخضر — ٦ ايار بينما لا يفعل ذلك ان سقط في النصف الاول من الاول وهو موسم الشتاء. ويبدأ من عيد الصليب في ٢٧ — ٩ وينتهي في عيد الخضر في ٦ ايار والثاني هو موسم الصيف . وهو ما تبقى من السنة . وعادة ما يستهدي الفلاح المسلم في بير زيت بنفس الاعياد التي غالباً ما تكون اعيادا مسيحية. وذلك راجع لقياس هذه الاعياد على النظام الشمسي، على عكس السنة القمرية التي يعتمدها المسلمون والتي تتغير بالنسبة للسنة الشمسية مما يصعب اتخاذها كمرجع للفلاحين . فمثلا بينما يقع حصاد القمح في شهر حزيران من كل عام فانه وعلى مر السنين لا يقع في شهر قمري معين او جزء منه

من يقوم بالادوار المختلفة ؟

العمل الزراعي يتطلب ايد عاملة وفيرة. فكثيرا ما كان الفلاحون يهبون لمساعدة غيرهم على انهاء نشاط زراعي معين وذلك تفاديا للمطر مثلا او لتمكين الفلاح ابدء وفي حينه بنشاط زراعي آخر يدق على الابواب . وأوجدت الاسرة الكبيرة الحجم حلا للطلب على الايدي العاملة . فكان حتى للصبية والفتيات مشاركة في الزراعة كموسم الزيتون والقمح ورعي الماعز الصغيرة مثلا . اما المرأة فتلعب دورا مهما في هذا المجال . ونظرة الى الجدول التالي تبين حقيقة هذا القول :

(١) غالبية الفلاحين في بير زيت مسيحيون

(٢) يوم عمادة المسيح في مياه نهر الاردن

(٣) التقويم الغربي وتعتمده الكنيستين اللاتينية والبروتستنية والتقويم الشرقي وتعتمده الكنيسة الارثوذكسية .

الادوار الزراعية للفلاحة والفلاح

نوع النشاط الزراعي	دور الفلاحة	دور الفلاح
موسم الحرث	أحيانا البحاشة بعد الحرث	الحرث والبذار
زراعة الشجر	ــــــ	زراعة الشجر والاعتناء به وتقنيبه
موسم القمح والشعير	الحصاد وجمع القش واستعماله للنسج .	الحصاد والدراس
موسم العنب والتين	غطاء العنب وجمع القطين والزبيب وصنع النبيذ والخل .	نفس الدور
موسم الزيتون	التقاط الزيتون من الارض وقطفه باليد .حمل الزيت والجفت من المعصرة للبيت .	جد الزيتون او قطفه باليد حمل الزيتون للمعصرة .
قطيع الخراف الخ	تنظيف وازالة بقايا الحيوانات واطعامها واستعمال البقايا لتسميد الارض.وحلب الحيوان وتحضير الزبدة والجبن واللبن الخ.	الرعي وجز الصوف وغزله ونسجه
متنوعات	بيع الفواكه والخضروات ومشتقات الالبان (١)	نفس الدور .
	جلب الطعام للحقل ونقل بعض المحاصيل من الحقول	نقل معظم المحاصيل من الحقل.
	التحطيب والحش .	احيانا التحطيب والحش .
	جمع الزعتر وغير من الاعشاب الطبية والغذائية وتصنيعها .	ــــــ
	تصنيع وحفظ بعض المنتجات الزراعية كالصابون والخضار المجففة والزيتون .	اعداد الادوات الزراعية

(١) ازدهرت ظاهرة البيع مع قدوم فترة الانتداب البريطاني على فلسطين .

الأمثال الشعبية :

تناول المثل المواضيع الزراعيةوالمناخ. وللمثل دور مهم في الاتصال بين الفلاحين وفي نقل الخبرات من السلف الى الخلف فهو يعلم عن الزمان المناسب للقيام بنشاط زراعي معين . لان لكل فترة زمنية خصائصها من حيث الامطار والرطوبة والجفاف وطول النهار وقصره . فليس للماء وحده فحسب، بل لكمية الضوء ومدته آثار مهمة في النمو والاثمار والنضوج النباتي والحيواني . فدلالة على قصر النهار في موسم الزيتون يقال : « أيام الزيت طول الخيط » أو « ايام الزيت صبحت أمسيت » . ودلالة على البرد والمطر في فترتي عيد الصليب وعيد بربارة يقال : « عيد الصليب لاتأمن من الصبيب » (البرد) « عيد واطلع ، صلب وادخل » (اي ينتهي التعزيب) ، أو « ان صلبت خربت » (يسقط المطر فيتلف العنب والتين) ، او « عيد بربارة يطلع المطر من خزوق الفارة » . كذلك لا يجوز الحرث بعد عيد الخضر كما ذكر في السابق : « عيد الخضر ، حرام حط النير عالبقر » . وبالرغم من الدور الهام الذي تلعبه المرأة الا ان المثل فيه التمييز حين يقول : « حرثوها السبوعة » (أي الرجال) وحصدوها الضبوعة (أي النساء او الضعفاء). والمثل التالي يبدي حكمة وهزلا بنفس الوقت « موسم التين فش عجين » نظرا لقيام التين مقام الخبز .

واخيرا بعض الامثلة الشعبية ذات الدلالة المناخية او الزراعية المباشرة والتي تتعلق بأشهر (١) السنة :

(١) جذور الامثلة قديمة وقالها الفلاح قبل دخول التقويم الغربي . فدلالة الامثال اذن راجعة الى التقويم الشرقي .

كوانين	«بين كانونين لا تسافر ياشقي.» نظراً للبرد والمطر في هذه الاشهر.
شباط	« شباط إلخباط بشبط وبخبط وريحة الصيف فيه » نظراً للتقلب المناخي .
آذار	« آذار فيه سبع ثلجات كبار غير الصغار» «آذار ساعة شمس ساعة امطار بنبل الراعي وبنشف (أوبدفا) بلا نار . » «آذار ابو الزلازل والامطار .» بتفتح العنقة (اي الافعى) وبدحي (اوبييض) الشنار . » بنبل الراعي وبدفا (اوبنشف) بلا نار » وينادي : ما يامعلمتي كبري الرغفان. » قصر الليل وطول النهار . »
نيسان	«في آذار بحمض اللبن وبكثر الحشيش وببرطع (بعدو) الكديش» (الدابة) « شتوة (اوالنقطة في) نيسان بتسوى السكة والفدان » . « شتوة نيسان بتحيي الانسان » . « النقطة في نيسان بتسوى كل سيل سال » .
أيار	«في ايار احمل منجلك وغار » نظراً لوقوع موسم الحصاد . والمقصود هنا ايار حسب التقويم الشرقي اي يقع الحصاد في حزيران حسب التقويم الغربي وكما ذكر سابقاً . « في ايار بطلع المشمش والخيار » .
تموز	«في تموز بتغلى المي في الكوز» (الابريق) نظراً لشدة الحرارة . « في تموز اقطف الكوز » (كوز الصبر) .
آب	« آب اللهاب » نظراً لشدة الحرارة . « في آب كل عنب (او اقطع القطف) ما تهاب » .
تشرين	« في تشرين يغبر العنب والتين » .

(١) جذور الامثلة قديمة وقالها الفلاح قبل دخول التقويم الغربي . فدلالة الامثال اذن راجعة الى التقويم الشرقي .